مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 12 / العدد: 02 (2024)، ص: 529-544

المقاربة النسوية للفلسفة البيئية: فاندانا شيفا انموذجا

Feminist approach to environmental philosophy: Vandana Shiva

شقعار لميس[1]

[1] جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)، lamis.chegar@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2024/03/15 تاريخ القبول: 2024/05/22 تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص:

تميز العصر الحالي بالوعي الأخلاقي الذي تجسد جرّاء ما خلّفته الفترة الحديaثة من مزالق، فقد سعى الإنسان جاهدا وراء بناء نموذج إتيقي جديد قائم على معايير وضوابط من شأنها التصدي لنتائج الحداثة، وإقامة علاقة متوازنة بين البشر والمحيط الطبيعي، فقد استلزم الفزع الأنطولوجي الذي فرضته التطورات التقنية في العصر الحديث ظهور العديد من الرؤى الفلسفية التي دافعت عن الحق الإيكولوجي، وحاولت تحديد المعاملة السلوكية اتجاه المحيط الإيكولوجي بالارتكاز على الالتزامات الخلقية نحو البيئة، والدعوة إلى إثراء النقاش حول القانون البيئي بغية إضفاء التناغم بين البشر والطبيعة لتحقيق ازدهار حضاري للإنسان.

وقد بدأت فكرة اعتبار الطبيعة موضوعا أخلاقيا مع بروز إرهاصات ونظريات فلسفية تمثلت في الايكولوجيا النسوية، ومنظور العالمة النسوية فاندانا شيفا للطبيعة أبرز مثال، فقد ركزت على ارتباط التيارات البيئية بالجانب النسوي، التي مثلت فيه المرأة عنصرا فعّالا وبارزا، محاولة تغيير النظام السائد في البنى الاجتماعية نصرة للجنس الأنثوي والطبيعة، والقضاء على النظام الأبوي والهيكل القمعي للعلاقات بين الإنسان والطبيعة.

كلمات مفتاحية: نموذج اتيقي، الفزع الانطولوجي، الحق الايكولوجي، الايكولوجيا النسوية، الطبيعة.

Abstract:

The current era is characterized by moral awareness that was embodied as a result of the pitfalls left behind by the modern period. Man has striven to build a new ethical model based on standards and controls that would address the consequences of modernity and establish a balanced relationship between humans and the natural environment. The ontological panic imposed by technical developments has necessitated... In the modern era, many philosophical visions have emerged that defend the ecological right, and attempt to determine the behavioral treatment towards the ecological environment based on moral obligations towards the environment, and call for enriching the debate on environmental law in order to create harmony between humans and nature to achieve cultural prosperity for humans.

The idea of considering nature as a moral subject began with the emergence of philosophical indications and theories represented in feminist ecology, and the feminist scientist Vandana Shiva's perspective on nature is the most prominent example. She focused on the connection between environmental trends and the feminist side, in which women represented an effective and prominent element, trying to change the prevailing system in social structures. Championing feminine sexuality and nature, eliminating patriarchy and the oppressive structure of human-nature relations.

Keywords: Ethical paradigm, ontological dread, ecological right, feminist ecology, nature.

***المؤلف المرسل:** لميس شقعار

1. مقدمة

يعرف العالم اليوم تحولات جذرية ومتسارعة، غالبا ما تتعلق بالتفاعلات البشرية التي تؤطر للكيانات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وما يلحقها من صراعات ترتبط بمبدأ المصلحة كبوصلة معلنة ومضمرة تسيّر مختلف الأنشطة الانسانية، ولعل هذا الأمر الذي دفع بضرورة إحياء القيم الأخلاقية، وإعادة النظر في المفاهيم والمبادئ والبحث عن آليات جديدة وأنماط تفكير مستحدثة، ولن يحدث هذا إلا من خلال تسليط الضوء على البعد التحليلي ومهارات التفكير النقدي، وهذه هي الخاصية الجوهرية في فعل الفلسفة، ولما كانت المرأة جزء لا يتجزأ من المنظومة الاجتماعية فقد قدمت نضالات عدة من أجل الحرية والمساواة عبر الحركات الاجتماعية التي سعت الى إحداث تغييرات على مر التاريخ، وذلك من أجل تغيير البنى الثقافية والايديولوجية التي تدافع عن حقوق المرأة من جهة وحقوق الطبيعة من جهة أخرى، لما في ذلك تقاسمات اجتماعية وايديولوجية عدة، لذلك تعتبر الحركة النسوية من أبرز التيارات الفلسفية التي ظهرت في الفكر المعاصر التي تهتم بمختلف القضايا التي تتعلق بالمرأة ونبذ أشكال العنف والقهر التي تتعرض له من الجانب الذكوري، ورفض النظام البطريركي، ضف إلى ذلك الاهتمام بالمشكلات التي تتعرض لها الطبيعة جراء امتداد مبدأ المركزية، ولعل نقطة التقاطع التي تربط المرأة بالطبيعة هو الهيمنة والسيطرة التي بررتها الحضارة الانسانية للعقل الذكوري. وتعتبر العالمة فاندانا شيفا أحد المناضلات التي حملت لواء الدفاع عن القضايا البيئية والتي أشرفت على تقييم النزعة الاستهلاكية والعلم الاختزالي للتأطير العلمي الغربي، محاولة فرض تنمية قائمة على مبادئ أنثوية شاملة. وعليه وجب طرح التساؤل التالي: ماهي المعايير الأخلاقية التي أسسها التيار الإيكولوجي النسوي؟ وماهي الأسس الاتيقية التي اقترحتها فاندانا شيفا للخروج من الأزمة البيئية؟

أولا: النسوية الإيكولوجية: المفهوم ،الخصائص والترابطات.

من أهم الاتجاهات لفلسفة البيئة نجد ما يصطلح عليه بالنسوية الإيكولوجية Ecofeminism وقبل التعريف بها وبأهم مبادئها لا بأس من الوقوف قليلا لتحديد

المصطلح الجذر لهذا الاتجاه، ويقصد به النسوية التي ظهرت كرد فعل ضد التراتبية التي تخضع لها المرأة في المجتمع، للدفاع عن الحقوق المهضومة دون وجه حق بالإضافة للتحرر من سلطة الجنس الآخر، وترجع البدايات الأولى للفلسفة النسوية إلى منتصف القرن التاسع عشر، والتي عبر عنها الفيلسوف الانجليزي جون ستيوارت ميل John Stuart Mill (1806-1873) من خلال المطالبة بتحقيق مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة وتجسيد أخلاق العدالة وإعادة النظر في قضية العنصر النسوي، هذه المساواة تتحقق من خلال هذه الحقوق الثلاثة: حق المرأة في الملكية الخاصة، حق المرأة في العمل في جميع الوظائف والمهن المحتكرة على الرجال، حق المرأة في الاقتراع والتصويت في الانتخابات البرلمانية (قطب، 2011، صفحة 82). وتتجسد المساواة على أرض الواقع بحفظ هذه الحقوق، ووفقا لذلك ترتفع مكانة المرأة، وبالتالي يتطور المجتمع البشري، إلا أن إسهامات الفيلسوف الإنجليزي جون ستيوارت ميل لم ترق إلى المستوى الفلسفي الدقيق بل كانت بمثابة وضع حجر الأساس لهذه الفلسفة فقط، ولعل ما قدمته الفيلسوفة الوجودية سيمون دي بوفوار في الأربعينيات من القرن العشرين كان الخطوة الفعلية لرسم معالم واضحة للفلسفة النسوية لذلك تعتبر إحدى رائداتها من خلال كتابها الجنس الآخر(1949) حيث طرح هذا الكتاب إشكالية المرأة بنظرة وجودية، ناقشت فيه الأبعاد التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسيكولوجية وكذا البيولوجية التي جعلت المرأة تمثل الهامش بينما الرجل يشكل الوجود الحقيقي، تقول:" ولما كانت المرأة مختلفة عن الرجل الذي يعتبر نفسه الأصل، فإنها تصنف في زمرة الجنس الآخر" (بوفوار، 2008، صفحة 31)، من خلال هذا الطرح بينت سيمون دي بوفوار بتوظيف مصطلح الجنس الآخر وجود علاقة انفصالية بين الجنسين، لأن المجتمع دائما كان ذكوري والسلطة السياسية من نصيب الرجال. أما مصطلح النسوية الايكولوجية، فينسب إلى فرانسواز دوبون Debon François (1920-2005) التي أشارت إليه في كتابها النسوية أو الموت Le Féminisme ou la mort (1974)،

وتربط من خلاله الاضطهاد والسيطرة الممارسة ضد الفئات المهمشة المتمثلة في النساء، الأطفال، الفقراء، السود، باضطهاد الطبيعة والسيطرة عليها، وعلى موجوداتها مثل: الحيوانات، الأرض، الماء، الهواء...الخ، حيث توضح بأن الاضطهاد والاستغلال وكذا الاستعمار الناتج من المجتمع الأبوي الغربي قد امتدت آثاره لتمس البيئة وتعرضها للضرر، لذلك فإن القاسم المشترك بين المرأة والبيئة هو الظلم الاجتماعي، وهكذا اتفق رواد النسوية الايكولوجية على أن هناك روابط مهمة بين السيطرة على المرأة والسيطرة على الطبيعة، وأن فهم هذه الروابط ضروري للنسوية والفلسفة البيئية على حد السواء، كما أن الهدف من تواجد الحركة النسوية البيئية هو تسليط الضوء على وجود سيطرة مزدوجة للمرأة والطبيعة، وتوضيح طرق هذه الهيمنة وإجراء التحليلات والممارسات التي تعنى بالتصحيح والتعديل المفاهيمي ومن بينها مناقشة التكنولوجيا بدعوى أن الاعتبارات العلمية والتنموية والتكنولوجية أمور محورية في الجدل النسوي المهتم بالبيئة (جامبل، 2002، صفحة 323)، كما تسعى الحركة النسوية إلى محاربة أي قوة تبرر الهيمنة الذكورية على الطبيعة والمرأة من جانب أن "المرأة والأرض كلاهما معرضتان للنهب والسلب، ومعرضتان للاغتصاب، وفي الواقع أنهما ضحايا العنف الجنسي لمن ينظرون بجشع وطمع إلى النساء والطبيعة، وهكذا فإن نفس المفاهيم الخاطئة التي تجعل المرأة في نظر الرجل كائن معرض للاغتصاب، نجدها عند الطبيعة أيضا فهي تتبع تلك المفاهيم من قبل البشر الذين يعتقدون أن ليس لديهم سوى مصالحهم الخاصة وجشعهم فيرون أن الطبيعة مستعدة للاستغلال" (Karen, 1990, pp. 125-146)، وبناء على هذا لن تنجح أية محاولة لتحرير المرأة دون محاولة متساوية لتحرير الطبيعة، وانطلاقا من هذا المبدأ الترابطي، تجيب النظرية النسوية البيئية عن أربع اشكالات رئيسية: ما هو موضوع النسوية البيئية؟ لماذا يجب أن تهم هذه المشكلات المرأة؟ وما الذي يجعل البيئة قضية نسوية؟

ولماذا قد تقدم النسوية البيئية أفضل طريقة لتحليلها؟ وهذا ما سنوضحه من خلال تحليل النسوية الإيكولوجية.

إن الجدير بالذكر، أن موضوع النسوية الايكولوجية يتجسد من خلال اهتمامها بقضية الطبيعة، والدفاع عن الحق الايكولوجي، لذلك شخصت النسويات أسباب ظهور الأزمة البيئية، لخصتها كل من جريتا جارد Greta Gaard (؟-1960) ولوري جروين Lori Gruen (؟-1962) في مقال معنون بالنسوية البيئية (1993) فيما يلي (Lori, 1993, pp. 230-240):

النموذج الفلسفي المادي الميكانيكي للكون: والذي نتج عن الثورة العلمية وما تلاها من اختزال كل الأشياء إلى مجرد موارد استعمالية، فقد كان ينظر للطبيعة سابقا بمعيار الحيوية، مما يستلزم مراعاتها والعناية بها، لكن تغيرت هذه النظرة مع بزوغ نجم الحداثة، وأصبحت الطبيعة مجرد آلة، يقتصر تحليلها وفهمها على التجربة والعقل، بالإضافة إلى إخضاع الكون للمعادلات الرياضية، وانطلاقا من هذا المفهوم أصبح قمع الطبيعة والهيمنة عليها هو الاستخدام الحكيم للموارد بدل النظر إليها من جانب قيمي أخلاقي.

بروز الديانات الأبوية البطريركية: رسخ التقليد اليهودي والمسيحي من خلال التراتبية التي وضعت المرأة في ذيل التصنيف للأزمة البيئية، فحينما عين الله آدم ليكون مسؤولا عن خليقته بأكملها ثم خلق المرأة حواء من ضلعه ووضعت تحته وتحت عين الله، وكذا خلق معها الحيوانات والطبيعة، تجسدت الهيمنة الذكورية على المرأة والطبيعة بأمر إلهي، كما تشير اليزابيث دودسون غراي Elizabeth Dodson Gray (1831-1924) في كتابها الفردوس الأخضر المفقود Green Paradise Lost (1979) على الترابطات الثيولوجية الروحية اللاهوتية التي جسدها التراث المسيحي اليهودي القائمة على التراتبية بين الكائنات، بقولها: "في النظرة التوراتية لطبيعة الأشياء تأتي المرأة بعد الرجل وأدنى منه، فقد خلقت المرأة كما تقول التوراة من جسد الرجل، ثم يأتي الأطفال

الذين لم يذكروا في قصة الخليقة، ثم الحيوانات التي لا تملك الروح البشرية الفريدة ولذلك فهي أدنى مرتبة، وفي الأسفل بعد ذلك تأتي النباتات التي لا تتحرك وأدنى من الجميع، ثم يأتي أساس الطبيعة ذاتها أي الهضاب والجبال والأنهار والوديان التي تقع أدنى من كل شيء، كما أن السماوات والقمر والنجوم القريبة من الله هي في أعلى كل شيء" (زيمرمان، 2006، الصفحات 20-21)، من خلال هذا القول، يتبين بوضح النزعة البطريركية التي تنادي بها الديانة المسيحية واليهودية من خلال تهميش المرأة وعناصر الطبيعة وجعلها في المراتب الدنيا، في مقابل الإعلاء من شأن الرجل وجعله على رأس الهرم، كما أن هناك تفسير آخر للسيطرة الأبوية، ناتج عن التطور البشري الذي حدث وفقا لقصة شائعة في الأنثربولوجيا توحي بأن التطور كان نتيجة الصيد الذي هو من مهمة الرجل الذي وقف مواجها للطبيعة بينما المرأة لم تشارك بحكم أنها تتمتع ببنية فيزيولوجية ضعيفة، مما يبيح نقلها إلى عالم التخلف الذي يجعلها هي والحيوانات في مرتبة أدنى من الرجل، حيث يشكل الرجل الأنشطة الثقافية، مما يؤكد تشارك الجنس الأنثوي والحيوانات الظلم والهيمنة والسيطرة الذكورية، وهذا ما يجعل البيئة موضوعا نسويا، وقد عبرت عن ذلك عالمة اللاهوت الأمريكية روز ماري رادفورد رويثر Rosemary Radford Ruether (1936-؟) في كتابها امرأة جديدة/ كوكب جديد (1975) قائلة: "ينبغي أن تدرك النساء أنه لن يكون ثمة تحرر لهن أو حل للأزمة البيئية في سياق مجتمع يتصف بأنه النموذج الأساسي لعلاقاته هو السيطرة، ينبغي عليهن أن يوحدن مطالب الحركة النسوية مع مطالب الحركة البيئية لتقديم تصور لإعادة تشكيل جذرية للعلاقات الاجتماعية الاقتصادية الأساسية والقيم الباطنة في هذا المجتمع الصناعي الحديث" (رومية، 2011، صفحة 53)، ويدل هذا على الرفض القاطع للأيديولوجية القائلة بملكية النساء والطبيعة وتقليص مهامهم في خدمة البقية ما يدعم هيمنة الرجل.

ثنائيات الذات وظهور التسلسل الهرمي القيمي: يتم تقييم كل الأشياء المرتبطة بالذات بطريقة تراتبية، تجعلها ذاتا تحمل قيمة أعلى من الأشياء الأخرى، ووفقا لهذا تتجلى العديد من الثنائيات في: الذات/ الآخر، الثقافة/ الطبيعة، رجل/ امرأة، أبيض/ غير أبيض، بشري/ غير بشري، متحضر/ بري، غني/ فقير...الخ، فالذات المتميزة في هذه الثنائيات هي الذات الذكورية، غير أن الذات المقابلة المهمشة تضم كل من المرأة وكذا الحيوان، فكلاهما يشكل الآخر ما يبرر منطق الهيمنة المزدوج، لذا فتأنيث الآخر غالبا ما يمارس عليه نفس الحكم الذي تخضع له المرأة مثال: الثقافة التي تنظر للمرأة على أنها تابعة للرجل تصدر الحكم نفسه على الطبيعة لتميزها بالطابع الأنثوي، كما تعزز الكلمات العامية للنساء المستخدمة في ثقافات متعددة كالهرة، العاهرة، الدجاجة العجوز، الزرع...الخ، جعل المرأة حيوان يملك مكانة وقيمة متدنية.

الرأسمالية البراغماتية: تسببت الملكية الخاصة التي دعمها النظام الرأسمالي في حدوث تسلسل هرمي بين ملاك الأراضي والفلاحين، وانتهك نظام التنمية النساء والعالم الطبيعي، بحجة جلب الحضارة الغربية والتصنيع للبلدان الفقيرة، لكنه في الحقيقة أدى إلى فقر حقيقي، كما أدت التنمية إلى هزيمة العنصر النسوي، و الجنس الأنثوي من خلال تقسيم العمل، الذي يركز على الرجل بمنحه مسؤولية المحاصيل النقدية، مقابل تهميش المرأة التي اختزل دورها في الاهتمام بالمحاصيل الغذائية والزراعية، غير أن النساء تهتم بالأراضي الزراعية كأعمال تخصها كإزالة الأعشاب الضارة، بالإضافة إلى عملها الشاق المتمثل في جلب حطب الوقود والماء وغيره...الخ، واعتمادا على الاحصائيات نجد المرأة تمثل نسبة 60 إلى 80 بالمئة من أعمال إنتاج الغذاء دون تعويض، في حين أن الرجل يكتفي بإدارة الأموال النقدية، كما أدت التنمية إلى الاستنزاف اللاعقلاني للثروات الطبيعية جراء التلاعب العلمي في الانتاج والتكاثر، -وهذا ما ستوضحه لاحقا النسوية الهندية فاندانا شيفا-، إذن: تعتقد كل من جارد وجروين بأن هذه العوامل الأربع هي التي شكلت العلاقة الانفصالية بين

الطبيعة والثقافة، كما تعتبر أصل كل المشاكل البيئية، وتذهب جارد إلى الاعتقاد بأن الإيكولوجيا تمثل قضية نسوية من مبدأ الاتصال والترابط التي تشعر به المرأة مع كل أشكال الحياة، فأشكال الاضطهاد الممارس في حق الطبيعة هو أبوي وذكوري ناتج عن أيديولوجيا تمييزية أساسها الانفصال بين الذات والآخرين، وغالبا ما تعمل الذات المنفصلة على أساس أخلاقيات الحقوق والعدالة، بينما تتخذ الذات المترابطة قرارات أخلاقية تقوم على الرعاية، لذا فالتركيز على هذه الاهتمامات يتأسس على نوع الجنس، فالرجال يميلون للتركيز على الحقوق، بينما تميل النساء للتركيز على المسؤوليات لذلك تسعى لفهمها وفهم العلاقات (Gaard, 1993, p. 13)، إن هذا البناء النفسي والسياسي للذات والنظام الأخلاقي المرتبط بها يفسر نسوية الحركة البيئية، ومنه تسعى الحركة النسوية لتوضيح هذه الروابط بين التدهور البيئي والاضطهاد الممارس ضد هذه الفئات المهمشة كالنساء، الأطفال والحيوانات في العالم الثالث والبلدان النامية، وتدعوا إلى تحرير جميع المجموعات المضطهدة في وقت واحد عن طريق التحالفات.

ويمكن توضيح الترابطات بين المرأة والطبيعة في أن الاقرار بأن الشعور المنفصل عن الذات هو السبب الجذري للأزمة البيئية ناهيك عن كونه السبب الرئيسي لكل أنواع الاضطهاد، لأنه يولد التسلسل الهرمي والثنائيات الذي تحدث نتيجة المعارضة بين الذات والآخر، فالطريقة التي تصور المرأة والطبيعة في السياق التاريخي الغربي هي التي أدت للتقليل من قيمة ما يتعلق بالجسد والعاطفة والحيوان، مقابل الرفع من قيمة الأشياء المرتبطة بالرجل والعقل، لذا كانت مهمة النسويين الرئيسية هي فضح هذه الثنائيات وكشف الطرق التي قامت بتأنيث الطبيعة، فليس من الممكن مناقشة التغيير البيئي دون معالجة الوضع الاجتماعي، كما تمارس استراتيجيات التنمية الحديثة في العالم عدة انتهاكات لحقوق كل من المرأة والحيوان من خلال انشاء المبيدات الحشرية السامة والنفايات الكيميائية والأمطار الحمضية والإشعاع...الخ،

والتي تؤثر بشكل كبير على النساء وأنظمة الإنجاب لديهن مثل: تلف البويضات والرحم بالإضافة للأجنة التي يطالها التشوه الخلقي والأطفال الصغار، كما يتم اختبار هذه المواد الضارة على الحيوانات لتحديد مستويات السمية الأمر الذي يؤدي إلى خسارة العديد من الأنواع الحيوانية والبشرية على حد سواء (Gaard, 1993, p. 16)، ودور المرأة كضحية لهذه المشكلات الناتجة عن التطورات التقنية هي ما يجعل القضايا البيئية قضايا نسوية بالأساس، لأن المرأة والأطفال هم أول من يعاني من عواقب تدمير البيئة، خاصة الفئات الأقلية المهمشة في البلدان النامية، فالمياه مثلا التي تنقلها النساء الريفيات من الآبار للمنازل ليس لها قيمة نقدية، لكن المياه المنقولة عبر الأنابيب تجسد قيمة، بالرغم من أن المرأة تحقق نفس الغاية، نجد الشيء نفسه بالنسبة لتنظيف المياه الملوثة حيث يتقاضى الرجل دخلا إذا قام بذلك، بينما نجد العكس مع المرأة، ومنه يمكن القول بأن العلم الذي تم تطويره من قبل الرجل الغربي، قد استغل وبخس قيمة القدرات النسوية بشكل ممنهج، حيث يتم تبرير هذه الممارسات على أساس المفهوم السائد الذي يقلل من شأن كل من المرأة والطبيعة، فقد تم التلاعب بهما كأمر مشروع باسم التقدم، فإذا اعتبرنا أن الكثافة السكانية هي السبب الرئيسي في مشاكل دول العالم الثالث فلماذا يتم إقحام المرأة في هذه المشكلات ولماذا تتحمل تبعاتها؟ كإجبارها مثلا على تحديد النسل أو إنجاب عدد أقل من الأطفال للقضاء على هذه المشاكل، وتماشيا مع هذا السياق، تميز بيتسي هارتمان Betsy Hartman (1951-؟) بين التحكم في عدد السكان، والتدخل في خيار الإنجاب، وتصنف هذا الفعل الشنيع كشكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، فمن منظور نسوي لا يمكن تحميل المرأة المسؤولية في الزيادة السكانية إذا كان هناك توزيع غير عادل في الثروة والموارد الاقتصادية التي خلفت الجوع والتدهور البيئي، لذا يجب أن نوسع نظرتنا لهذه المشكلة بحيث لا يتم حصرها نسويا فقط، وذلك يكون بالنظر إلى عدة عوامل: الاقتصاد الجماعي، الوضع الاجتماعي للمرأة، وترك الخيار الكامل

للمرأة في التحكم بعدد الاطفال والمباعدة بين الولادات، لأن وسائل منع الحمل المتاحة حاليا غالبا ما تعرض حياة النساء للخطر كمرض السرطان، وتدين جارد أيضا العسكرة الأمريكية التي تعتبر كشكل لإبراز الذكورة والسيطرة، حيث نشهد في هذا القرن نمو هائل للوحدات العسكرية التي تهدد بقاء الإنسان، وهي مشكلة يعاني منها النساء والأطفال أكثر من غيرهم على الصعيد العالمي، حيث نجد نسبة ضخمة للاجئين من النساء والأطفال، علاوة على ذلك فإن القوات المسلحة هي الملوث الأول عالميا من خلال إنتاج الأسلحة النووية والنفايات الكيميائية السامة، كما تسبب أعمال العنف، وإلحاق الضرر بالأرض والحيوانات كالصراع الذي حدث في الفيتنام حينما تحولت 5.43 مليون فدان من الغابات الاستوائية إلى رماد وغيرها من الثروات الطبيعية التي تضيع من أيدينا بفعل أيدينا (Lori, 1993, pp. 244-246).

لقد دافعت الحركة النسوية على العالم الطبيعي والموجودات، وناصرت قضية المرأة، لوجود تقاطعات تبرز الهيمنة والسيطرة والتمييز العنصري، كما دعت إلى بناء نسق أخلاقي يرفض التحيز لكل ما هو ذكوري، وفي الوقت ذاته قائم على مبادئ أنثوية متصلة بالطبيعة كمبدأ عام، وعليه يمكن تلخيص خصائص النسوية الإيكولوجية عند كارين وارين في النقاط التالية:

- معارضة التمييز ضد الطبيعة ورفض السلوكات التي توحي بالهيمنة والخضوع.
- استبعاد المفهوم الكلاسيكي للأخلاق الذي هو مجموعة قواعد وحقوق أو مبادئ محددة سلفا، واستبداله بمفهوم جديد يعتمد على النظر إلى العلاقات بين الكائنات المختلفة في سياقاتها المتعددة.

– النسوية الإيكولوجية تعددية بنيويا، تفترض الاختلاف سواء بين البشر بعضهم بعض أم بينهم وبين عناصر الطبيعة، على اعتبار أن البشر أعضاء في مجتمع إيكولوجي من بعض الوجوه ومختلفين عنه من وجوه أخرى.

– التركيز على نماذج المعنى التي تنبثق من رواية القصص وسرديات صيغة المتكلم لدى النساء والآخرين اللواتي يستنكرن الهيمنة المزدوجة على النساء والطبيعة.

– انتقاد المقاربات التقليدية للأخلاق البيئية باعتبارها أخلاق برجوازية تخص العرق الأبيض، تخفق في التعامل مع القضايا الإيكولوجية التي تخص كل البيئات البشرية وغير البشرية.

– اعتبار النسوية الايكولوجية الإيكولوجيا كمشكلة اجتماعية تضرب بجذورها في الظروف الملموسة جدا التاريخية والاجتماعية والاقتصادية.

– المكانة المحورية لقيم الرعاية والحب والصداقة والثقة والعلاقات المتبادلة.

– إنكار الفردانية المجردة، والتأكيد على أهمية السياقات التاريخية والاجتماعية والعلاقات التي يكون فيها البشر طرفا بما في ذلك علاقتنا مع الطبيعة غير البشرية لأنها تلعب دورا جوهريا في صياغة ما هو بشري (زيمرمان، 2006، الصفحات 113-117)، ومنه يمكن القول أن هذه الخصائص قد مثّلت النقاط المشتركة في تحليل القضية البيئية من وجهة نظر النسوية الإيكولوجية.

ثانيا: الطبيعة بصفتها قضية نسوية:

تعتبر العالمة الفيزيائية الهندية والناشطة البيئية فاندانا شيفا Vandana Shiva (1952-؟) والتي حملت مؤخرا لقب الإلهة المحاربة لحماية البيئة من أهم الشخصيات التي أبدت اهتمامها البالغ للقضايا البيئية، حيث قدمت مساهمات كثيرة للحفاظ على كوكب الأرض، وحماية الطبيعة من الاستنزاف، ولعل ما يميز هذه العالمة هو ايمانها

القاطع بأن المشاكل البيئية هي مشكلات ايديولوجية بالدرجة الأولى، لذلك نجدها ترجع أسباب التطاول على كل من المرأة والطبيعة، إلى النظام الرأسمالي الذي سعى إلى معاملة كل من النساء والطبيعة بطريقة استغلالية، هذا التعامل الطبقي أدى إلى نشوء ثروة طبقة حاكمة يمثلها الرجال، وطبقة محكومة ومضطهدة تمثلها المرأة والطبيعة على حد السواء، كما أوضحت التماثلات بين اختزالية العلم وبين التطور الرأسمالي، فالعلم يستغل الطبيعة ويحيلها إلى طرف سلبي، والرأسمالية تستغل المرأة وتبخس من قيمتها وقيمة الطبيعة وكذا الشعوب الفقيرة كشعوب العالم الثالث، ووصم الأطراف الثلاثة بالضعف والحاجة إلى التطوير والتقدم (الخولي، 2017، صفحة 63)، ولعل هذا الطرح يتوافق مع ما ذهبت اليه أيضا النسوية كارولين ميرشانت Carolyn Merchant (1936-؟) التي أكدت هي الأخرى على أن المشكلة البيئية مرتبطة بفترات زمنية تاريخية مما يؤكد التأثير البشري على النظام البيئي، لذا اقترحت التعامل المباشر مع التغييرات الثقافية كمؤثر للبيئة الطبيعية وتغيير المواقف اتجاه الأرض، فجودة البيئة تتأثر بعقلية وكيفية تعامل الفلاحين مع الأرض، وتحديد استخدامهم للأراضي النابع من أجل العيش أم بغية تحقيق غرض الربح، وهذا ما يؤدي بدوره إلى مجموعة من الأسئلة حول كيفية قيام النموذج الآلي بتعزيز وتسريع استغلال الطبيعة (Merchant, 1980, p. 43)، لأن التخلص من الأفكار المسبقة الحيوية للطبيعة والنظر إليها كمنظمة جامدة ميتة جامدة تتطوع بواسطة القوة الخارجية، جعلت من الإنسان كائن فريد من نوعه تتسخر له عناصر الكون بأجمعها.

تحاجج شيفا على أن النمو الغربي يجسد الهيمنة الذكورية كأنموذج للاقتصاد والسياسة، وطبيعة العلم الحديث جزء لا يتجزأ من القيم الأبوية، فالتطور العلمي يأتي من جوهر ذكوري برجوازي يستفيد منه الرجال فقط، وعليه فالرابطة الأساسية بين الحركة النسوية والقضايا البيئية هي الهيمنة الاقتصادية والسياسية

التي يقودها العنصر الذكوري والتي أدت إلى تدمير البيئة من جهة وتعذيب المرأة واستغلالها من جهة أخرى، هذا ما جعل الحركة النسوية البيئية توجه صرخة مدوية لاقتلاع تمركز العقل الذكوري وتحرير المرأة، وبالتالي الحفاظ على البيئة وتحرير الشعوب المستعمرة، كما تنتقد شيفا الفلسفة البيكونية القائمة على الانقسامات: (الذكر/الأنثى، الذاتية/الموضوعية، العقل/المادة، العقلاني/العاطفي)، لأن علم بيكون روّج لفلسفة الإنتاج بدل الازدهار والتطور البيئي من خلال التحكم في الطبيعة، ومحاولة إزالة الأمومة من الطبيعة (Chittaranjan Subudhi, 2019, p. 426)، وتوضح في السياق نفسه أهمية المرأة في نظم المعارف التقليدية مبينة دورها في علم الكونيات الهندي، فقد كانت المرأة جزء من الطبيعة منذ القدم، والطبيعة هي تعبير عن (شاكتى)، وهو عبارة عن مبدأ أنثوي للكون، حيث كانت شاكتى تعبد في الهند كربة الخصب، وزوجة للإله شيفا في القرن الخامس، كانت تحمل جوانب مسالمة ومرعبة في آن واحد مماثلة لقوى زوجها، وتعتبر مخلصة البشر ومقاتلة رهيبة، كما تدعى بقوة شيفا (بارندر، 1993، صفحة 139)، كما دمجت شيفا كل العناصر الطبيعية ضمن مجتمع عضوي واحد، باعتبار الكون كائن حيويا يرفض الثنائيات، فلا يوجد فيه فصل بين الصور الشعبية والنخبة، التقاليد المقدسة والعلمانية، الرجال والنساء، الغابات والأنهار، الحقول والمحاصيل والحيوانات، كما أشارت إلى الترابط الوثيق بين الغابة والمرأة في الحضارات الشرقية القديمة كالديانة الهندوسية، التي كانت تعبد الغابات من منظور أنثوي وتعطي لنا مثال: الإلهة أرانياني أو ما تسمى بآلهة الغابات (Chittaranjan Subudhi, 2019, p. 427).

وتنتقد شيفا في كتابها الموسوم ب: "الحصاد المسروق: سرقة مصدر الغذاء العالمي" Stolen Harvest: The Hijacking of the Global Food Supply (2000) الثورة الزراعية العلمية، مصححة مفهوم الاقتصاد الصناعي الذي يقدم حسبها نموا مزيفا، فهو شكلا من أشكال السرقة للطبيعة والبشر، وبرزت هذه السرقات منذ

حلول الاقتصاد المعولم من خلال الاتفاقية العامة للتجارة سنة 1994 وتأسيس منظمة تجارية عالمية التي قدمت مسارات تنمية ضارة ومدمرة للطرق التقليدية للزراعة العضوية، مما أدى إلى خرق التنوع الحيوي في قطاعين: تمثل الأول في: استغلال الأرض لتحقيق الأرباح والفوائد وجعلها مجرد وسيلة لتحقيق ذلك، مثل: قطع الأشجار من الغابات، وتحويلها إلى أراضي أحادية الزراعة يسلبها التنوع الحيوي، وكذا الموارد الغذائية والأعلاف والوقود والأمان من الفيضانات والجفاف، الأمر الذي يساهم في إفقار الأرض، كما كشفت أن اقتصاد السوق يركز على المؤشرات المالية وزيادة الأرباح والتراكم المادي، مهملا في المقابل جميع المؤشرات التي تدمر النظام البيئي، مثل: قطع أشجار الغابة الذي يضيف ثروة إلى النظام الاقتصادي لكنه يخلف ورائه منظومة بيئية وزراعية مستنفذة.

أما القطاع الثاني: تمثل في الزعم بأن التوفير الذاتي يتسبب في نقص الغذاء والفقر من خلال ما يسمى بزراعة الكفاف (وهي زراعة تقوم على الاكتفاء الذاتي، يقوم المزارعين بزراعة الأنواع التي يحتاجونها في العملية الغذائية والتي تكفي أنفسهم وذويهم فقط)، لأن ايديولوجيا التنمية أعلنت بأن التدبير الذاتي يولد اقتصاديات فقيرة كونه لا ينخرط في اقتصاد السوق ولا يستهلك السلع الموزعة بالرغم من أنها تلبي الحاجيات الأساسية، فقد أعطى التصور الثقافي لعيشة الكفاف مشروعية لعملية التنمية الحديثة باعتبارها مشروعا للقضاء على الفقر، لكن هي في الحقيقة تقوم بتدمير أنماط الحياة المستدامة وتخلق فقرا ماديا، من خلال تحويل الموارد إلى الإنتاج السلعي الكثيف الذي يهيمن عليه اقتصاد السوق، ما يخلق فجوة بين إنتاج الموارد النقدية والأغذية المعالجة والموارد اللازمة للبقاء، وعليه فالنموذج التقليدي يتذهن ويتخيل الفقر فقط، لأن العيش في البيوت المبنية بالمواد الطبيعية ولبس الثياب المصنوعة منزليا بالخيوط الطبيعية وأكل المواد الطبيعية المزروعة محليا لا يعد فقرا ماديا، بل الفقر الحقيقي يكمن في القضاء على التنوع الغذائي جراء الضغط الممارس ضد الأرض لتحقيق الثروة النقدية، واتلاف الأراضي الزراعية نتيجة الاستغلال المفرط عن طريق قطع الغابات والتسميد المبالغ فيه بغية وفرة الانتاج (زيمرمان، 2006، الصفحات 54-55) لذلك نجد فاندانا شيفا تنبذ ما يدعى الزراعة الصناعية الحديثة لأنها دمرت

الموارد المتنوعة للغذاء وحققت زيادة مردود على حساب الآخر :فإذا اعتبرنا زيادة مردود القمح والذرة على حساب البقوليات والفواكه والخضار في الدول المنتجة (العالم الثالث) علما أن هذه الأخيرة تستهلك القليل من إنتاجها، فإن هذا يعني أن كسب مردودات المحاصيل المنتجة صناعيا قائم على السرقة من غذاء أجناس أخرى على حساب الفقراء الريفيين في العالم الثالث (شيفا، الحصاد المسروق: سرقة مصدر الغذاء العالمي ، 2003، صفحة 25)، كما تنجم عن الزراعة الأحادية مشكلات أخرى، فالنظر إلى نوع واحد من الأشجار مثلا بشكل منعزل عن الزراعات الأخرى كونه مصدر أساسي لمصدرا ما، يؤدي إلى انتاجه بوفرة عبر التلقيح الصناعي، وبهذا تتصادم هذه العملية باختزال التنوع الطبيعي الذي يبرز عبر الأشجار والأنواع المختلفة، الأمر الذي يرجع سلبا على الحيوانات والطبيعة كنظام متكامل، إن المؤسسات العالمية لا تسرق مجهودات المزارعين فحسب بل تمتد إلى سرقة محصول الطبيعة عن طريق الهندسة الوراثية وبراءات الاختراع، ونتيجة لذلك حاربت شيفا الشركات الكيماوية التي تهدف إلى التحكم بالزراعة من خلال الهندسة الوراثية، وعمليات الدمج عبر المشاركة في مؤسسات وتأسيس حركة نافدانيا (1991)، (وهي حركة وطنية لحماية تنوع وسلامة الموارد الحية، خاصة البذور الحيوية، وتشجيع الزراعة العضوية والتجارة العادلة.) لتوفير البذور وحماية التنوع الحيوي، فقد سعت جاهدة للقضاء على الاحتكار والإبقاء على حرية الزراعة، مؤكدة إنه ليس أمرا حتميا أن تسيطر المؤسسات على العالم وتحكمه، بل يوجد لدى الشعوب المضطهدة إمكانية حقيقية وصياغة حياتهم بحرية مطلقة، ومن الواجب البيئي والاجتماعي التأكد من أن غذاء شعوب العالم الثالث، أو الطبقة المستغلة ليس محصولا مسروقا، كما تعطي شيفا بعدا واسعا للزراعة، وترى أن البذور لا تمثل مصدر الغذاء بالنسبة للمزارع فقط، بل هو رمزا للتقاليد الموروثة من الأسلاف القدامى وسمة تاريخية تدعوا للفخر والاعتزاز، والتبادل الحر للبذور بين المزارعين يتجاوز تحقيق التنوع البيولوجي والأمن الغذائي إلى تبادل الثقافات والآراء والأفكار والمعرفة بالإضافة إلى الانبات والوراثة (شيفا، الحصاد المسروق: سرقة مصدر الغذاء العالمي ، 2003، صفحة 18)، ومعنى هذا أن سرقة هذه المحاصيل الزراعية هو في الحقيقة سرقة للأفكار والثقافات، فقد تجردت الزراعة

الحديثة من كل هذه القيم الثقافية التي تحافظ على الهيكل والمفهوم الذاتي للمناطق واغتصبت باسم التطور التقني والعولمة.

كما تجدر الإشارة إلى المخاطر البيئية التي تسببها المحاصيل المهندسة وراثيا، حيث نجد على سبيل المثال: محاصيل فول الصويا الجاهزة والمصممة خصيصا كي تكون مقاومة لمبيدات الأعشاب تؤدي إلى تدمير التنوع الحيوي من جهة، وتزيد من استعمال الكيماويات الزراعية من جهة أخرى، وتساهم في نقل أعشاب غريبة عن طريق نقل الصبغيات المقاومة للمبيدات إلى الحشاش، فالتدخل البشري المبني على الجهل والهيمنة هو في حقيقة الأمر خراب للطبيعة، كما ولد التحكم والسيطرة المتخفية وراء وجه العولمة والتجارة الحرة دكتاتورية الغذاء ،لذلك فالحل المناسب للخروج من أزمة الغذاء المسروق، والاستغلال ضد الشعوب الفقيرة عند شيفا يكمن في تحريك المواطنين لجعل النظام الغذائي ديموقراطيا يسمح بالتنوع الحيوي، وتجسيد الحق في حماية الأرض ومخلوقاتها المتنوعة لاستمرار البيئة وتحقيق العدالة الاجتماعية (شيفا، الحصاد المسروق: سرقة مصدر الغذاء العالمي ، 2003، الصفحات 32-34).

وتطرقت العالمة فاندانا شيفا إلى سلبيات الآلية التكنولوجية وأثرها على المياه، من منطلق أن الإنسان الحديث قد أساء استخدام الأرض ودمر مقدرتها على الحصول على الماء وامتصاصه، وأدت إزالة الغابات إلى تدمير مجمعات الأمطار المعنية بالاحتفاظ بالمياه، ونتج عن الاستخدام المتزايد للوقود الحفري تلوث الغلاف الجوي وإحداث تغييرات مناخية أخرى مسؤولة على توالي الفيضانات والأعاصير وموجات الجفاف مما تسبب ذلك في الأزمة المائية (شيفا، حروب المياه الخصخصة...التلوث...الربح، 2012، صفحة 20)، أما عن ارتباط هذه المشكلة الايكولوجية (مشكلة ندرة المياه) بالقضية النسوية فتوضح شيفا بأن نساء دول العالم

الثالث، والأطفال هم المتضررون من ندرة المياه، حيث يقطعون مسافات طويلة للبحث عنه، كما تخلق هذه الأزمة مشكلة المجاعة والفقر لعدم تمكن المزارعين من سقي محاصيلهم، إن انقطاع المياه يعني الجوع، والموت والجفاف للنساء والأطفال، فمعظم من يطالهم تأثير التغيرات المناخية والجفاف وذوبان الأنهار الجليدية هم الأفراد الأشد فقرا في العالم الثالث لغياب الوسائل والامكانيات، كما أن النساء كونهن أمهات لا يستطعن تجاهل ما يحدث لأطفالها نتيجة الأخطار التي يتعرضون لها جراء التلوث الكيميائي للماء وتأثيرات المواد القاتلة التي تنتج عن النفايات الكيماوية العائدة للشركات والمصانع في مختلف بلدان العالم، لذلك تنتقد شيفا بشدة ملكية الأنهار واحتكارها من قبل المستعمرين الأوربيون الذين قيموا الطبيعة وفقا لمنفعتها التجارية لكي تحقق إشباع إنساني حقيقي في مقابل الكارثة المحدقة بالبشر من احتياجات للماء وانتشار المجاعة في العالم بأسره، وتؤكد على أن أزمة المياه أزمة إيكولوجية نشأت عن أسباب تجارية لا تلائمها الحلول المقدمة من قبل السوق لأنها تعمل على تخريب الأرض وتفاقم الأجور، لذلك فحل الأزمة الايكولوجية لابد أن يكون سياسيا، لذلك تستنجد فاندانا شيفا بالديموقراطية الإيكولوجية لتجاوز هذه الأزمة (شيفا، حروب المياه الخصخصة...التلوث...الربح، 2012، الصفحات 35-36) لأن الردع السياسي في نظرها هو الحل المجدي للتصدي إلى البراغماتية التجارية. حيث تتطلب هذه الديموقراطية المساواة بين الجنسين، ورؤية المرأة ككائن روحي وصانع ثقافي من شأنها أن تتولى قرارات سياسية، وهذا ما يعكس وجهة نظر شيفا النسوية القوية التي ترفض من خلاله النموذج الآلي الاختزالي للنمو القائم على النتاج المحلي الاجمالي.

4. خاتمة

يمكن أن نستنتج من خلال تحليل النظرية النسوية الشيفية، بأن الطبيعة تعتبر كائن نشط تمتلك خيرا خاصا بها، وقدرة ذاتية على تسيير شؤونها دون الحاجة إلى التدخلات البشرية لما تتميز به من استقلال ذاتي، فقد سعت النسوية الإيكولوجية بشكل عام نحو رسم معالم واضحة لمبادئ إتيقية من شأنها أن تحدد السلوكات البشرية اتجاه الطبيعة، والتي تعتبر مرافق وعضو مشارك في المجتمع الحيوي، كما جاهدت على تحسين العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وخلق علاقة وطيدة محملة بقيم الحب المتبادل والرعاية والتفهم وكذلك العناية للطبيعة، من خلال وجهات النظر المتعددة التي حملتها عن الطبيعة بوصفها موضوعا، ومخبرا، وشريكا، ومجتمعا حيويا، أما العالمة فاندانا شيفا فقد قدمت دراسة توأمت فيها بين العلم والفلسفة، معارضة بذلك العولمة التي تعتبر مدمرة للحياة والمجتمع على المستوى العلمي، فهي من أهم المنتقدين للثورة الخضراء وظهور الكائنات المعدلة وراثيا على الممارسات الزراعية في الهند، والمستوى العالمي، لذلك قدمت براديغم جديد للفلسفة البيئية تدعو من خلاله الى وضع نموذج جديد للعيش على الأرض لعدم جدوى ما كان سائدا من ثقافات أحادية مركزية. مبينة دور المرأة الحيوي في الحفاظ على الأرض والاقتصاد بحيث يكون جميع الناس بدون استثناءات جنسية مسؤولين بالتساوي عن رعاية الأرض والمجتمع.

5. قائمة المراجع:

بوفوار ,س .د .(2008) .*الجنس الآخر* .عمان، الأردن :الأهلية للنشر والتوزيع.

جامبل ,س .(2002) .النسوية وما بعد النسوية . .(ط1) القاهرة، مصر :المجلس الأعلى للثقافة.

جفري ,ب .(1993) .*المعتقدات الدينية لدى الشعوب*. الكويت: عالم المعرفة

الخولي ,ي .ط .(2017) .*النسوية وفلسفة العلم*.(ط1) المملكة المتحدة :مؤسسة هنداوي.

رومية ,م .(2011) .*من البيئة إلى الفلسفة*. .(ط1) دمشق، سوريا :معابر للنشر والتوزيع.

زيمرمان ,م .(2006) .الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان الى الإيكولوجيا الجذرية ،الجزء الثاني .الكويت : سلسلة عالم المعرفة.

شيفا ,ف .(2003) .*الحصاد المسروق :سرقة مصدر الغذاء العالمي* .(ط1) . الرياض، السعودية :مكتبة العبيكان .

شيفا ,ف .(2012) .*حروب المياه الخصخصة...التلوث...الربح* . .(ط1) القاهرة، مصر : مكتبة سطور للنشر.

قطب ,خ .(2011) . *فلسفة العلم التطبيقية: الفلسفة تبحث عن آفاق جديدة داخل العلم* . .(ط1) القاهرة :المكتبة الأكاديمية.

Chittaranjan Subudhi, K. P. (2019). *staying Alive : Woman, Ecology and Development by Vandana Shiva*. Article in journal of international Woman's studies

dfgf. (fgf)

Gaard, G. (1993). *Ecofeminism: Women, Animals, Nature.* Philadelphia: Temple University Press.

Karen, W. (1990). The *power and promise of Ecological Feminism*. Environment Ethics journal

Lori, G. G. (1993). *Ecofeminism: Toward Global Justice and Planetary Healt.*

Merchant, C. (1980). *The Death of nature Women, Ecology, and the scientific revolution.* san francisco: library of congress Cataloging in publication Data.